قاعة المحكمة

هتفت أمل بوالدها حين زارته في السجن وهي تنشج بالبكاء:

- ماذا فعلت بنفسك يا والدي؟

وأطرق لا يحري جوابا.. كان يجلس بانكسار شاحب الوجه، وقد تخدد وجهـه بغضون عميقة من الهم والحزن.. الى أية هوة أودت به أنانيته العميـاء؟ وودت أمل أن تهتف به:

- ألم تفكر بنا؟ ألم ترحم مستقبلنا اذا كنت لا تفكر بنفسك ولا ترحم مستقبلك؟ ألم تجد ثروة تورثنا اياها أفضل من العار أنـا وأبنـاءك الخمـسة؟ ولـم تجـد لشيخوختك نهاية خيرا من هذه النهاية التعسة في ظلمة السجن؟

ولكنها لم تستطع أن تزيد شجونه.. ما فائدة اللوم لإنسان هالك؟ وتمنت أمل في أعماقها لو أن المنية عاجلته في تلك النوبة التي أصابته قبل المؤامرة فمات بشرف مأسوفا عليه.. وتأوهت بصمت ثم تمتمت:

- سأدافع عنك يا أبي، وسيساعدني شفيق ابن خالتي فحدثني بكلّ شيء.. هـل ما اعترفت به أمام المحقق العسكري صحيح دون ضغط ولا اكراه؟

- هل يفيد الإنكار اذا كان شاهد المؤامرة هو الأستاذ لطفي الذي رافقها خطوة خطوة؟

وتأوهت أمل بيأس، وذكرت كل المصائب التي أصابت أسرتها منذ دخل البيت الأستاذ لطفي: خطوبتها، وعلاقة نهلا به، وفسخ الخطوبة.. أترى والدها تحـول هذا التحول لإرضاء نزعة التفاخر عند نهلا فيحتفظ بها؟ وقالت بصوت مختنـق دون أن تمسح الدموع عن أهدابها:

- آه يا أبي! لقد كنت من أشد أعداء الإستعمار..

وذكر رامز فتحي ماضيه الوطني وكفاحه فبكى.. حقا لقد كـان كـذلك فمـاذا غيره؟ كيف تحول به الزمن كل هذا التحول دون أن يشعر به؟ أطار صوابه قوى الشعب النامية فأعمته أنانيته وقادته شهواته الى أحلك مصير!

لقد فضل أخيرا حماية المستعمرين لمصالحه، وهان عليه غزو بلاده، علـى أن تنتصر القوى التقدمية وتستلم الحكم!

... وفي منزله الكبير، كانت الكآبة ترزح ثقيلة على القلوب فـلا تنكـل عـن بسمة..

أمل تقضي جلّ وقتها في قاعة المحكمة في ارتقاب مرير وحين تعود تغلق على نفسها باب غرفتها، وتذرف الدموع الغزيرة، وهي تطالع ملفّات الأوراق لتهـيء دفاعها، دفاع جلّ ما يبتغيه أن يطلب الرحمة لخائن مريض هان عليـه أن يبيـع وطنه للمستعمرين.. وحين يصدف أن تلتقي بنهلا، ترشقها بنظرات متهمة دون أن تكلمها..

ونهلا لاتريد أن تصغي الى المذياع أو تفكر بتلك الأمور المزعجة الغريبة التي تطوف بها.. ماذا تفهم هي في السياسة؟ ان ما يشغل ذهنها أن تجد لنفسها طريـق الخلاص والتحرر والإعتماد على النفس..

وأم ابراهيم كانت تصغي الى المحاكمات بذهن متفتح فلا تفوتهـا شـاردة ولا واردة.. وتردد لنفسها وهي تضرب كفا بكف:

- أشقى وأتعب في العزايم والولايم لزلم خائنين؟ لا بالله!

ولما سمحت لها أمل التي كانت تشتري حاجات البيت مـن الـسمان واللحـام بالدين، أن تأخذ معها ما يزيد من طعام اليوم قالت:

- ما بدي شي.. أعطيني حسابي وخليني روح..

ووعدتها أمل بأن تزيدها، ولكن شيئا لم يعد يغريها، ولم يثنها عن عزمها، الاّ رجاء نهلا لها بالبقاء حين طلبت اليها الإنتظار قليلا علها توفّق الى وظيفة معلّمة رسم فتعيشان معا وتتقاسمان حلو الحياة ومرها..

كانت أم ابرهيم تشفق على نهلا وتجدها قليلة الحيلة تعيش هي الأخرى غريبـة في هذا البيت.. وكانت طبيعة نهلا السمحة وكرمها يتركان أثرهما الطيـب فـي قلبها.. انها لا تنتقدها، ولا ترفض لها طلبا.. بل لقد اعتادت معهـا أن تـأمر ولا تؤمر، أفيتاح لها هذا مع سيدة أخرى؟

وهكذا خلعت أم ابراهيم مئزرها الأسود، وعادت الى عملهـا تنتظـر الفـرج العاجل!..

* * *